

مبارک وسالھ

أستقبل راقصات شقیرات

مِثْل

الجوكنة

(أنصولوجیا شَغَصِيَّة)

- كصبة جديكة -

2021

منشورات جبر

شعر

أستقبل راقصات شهيرات مثل الجوكنده طبعة جديدة - 2021

مختارات من شعر مبارك وساط

منشورات جبر

﴿جميع الحقوق محفوظة﴾

مبارك وسلاھ

أستقبل راقصات شقيقات مثل
الجو كندة

﴿مختارات من شعر مبارك وسلاھ﴾

كسبة جديدة

2021

منشورات حبر

هذه مختارات شِعريّة من المجموعات التي صدرت للشاعر المغربي مبارك وساط حتى اليوم (مارس 2021)، مضافة إليها قصائد له لم تُنشر بعد في مجموعات.

المجموعات المشار إليها هي التالية:

- 1- على دَرَج المياه العميقة (طبعة أولى: 1990 - ط.2: 2001 - ط.3: 2020)
 - 2- محفوفاً بأرخبيلات... (طبعة أولى: 2001 - ط.2: 2020)
 - 3- راية الهواء (طبعة أولى: 2001 - ط.2: 2020)
 - 4- فراشة من هيدروجين (طبعة أولى: 2008 - ط.2: 2020)
 - 5- رجلٌ يبتسم للعصافير (طبعة أولى: 2011 - ط.2: 2020)
 - 6- عيونٌ طالما سافرت (طبعة أولى: 2017 - ط.2: 2020)
-

لتفاصيل أكثر عن الشاعر وإصداراته: ص.129 وما يليها.

رابط تحميل مجموعات مبارك وساط:

- مجموعات م. وساط -

مُختارات من مجموعة:

على دَرَج المياه العميقة

خيمة الغبار

من جديد، بدأت القوارب الكاسرة تخطط بمسلاتها أفواه الأنهار، بينما الخريف ينسج علامات استفهام على وجوه العابرين! نبوءات وخيمة أستشفها في عيني يمامة تحتضر، وأخبار غامضة تبثها إذاعة الزبد عن مصيري الأكثر غموضاً. أحياناً، أقيم مع سدنة العشب في ظل أساطير سامقة، بينما تتوغل أنفاسي في فجوة الجبل العميقة، أو أمضي إلى كهف بعيد، أرى فيه العلماء المُقْعدين يَفْكُون الغارَ سِرَ الحقول. كنتُ، أيضاً، أجالس صديقي الذي يشغل بمنجم الدُموع السوداء، لنستغرب قليلاً من طفولة النيازك وبكاء الحجر اليتيم. لكنَّ القناصين الدّهاة كمنوا له ذات مساءً في خيمة الغبار. ومُذّاك، صرْتُ أتطلّع إلى كلِّ هيكل عظمي يُدندن في حانة، وكلِّ ميّت يُحمم تحت نافذتي، إلى أن نسيْتُ ملامحه كُلّيةً. بقيتُ دماء السّناجب تَزرورني. وساعي بريد المَرارة، الذي كان يحمل لي رسائل على هيئة سلاسل، وبطاقات بريد تسعّل فيها الغربان... وطلع حرّائو الأمواج الخِصبة، من أكوأخهم في عمق المحيط، ليقوموا بمسيرة احتجاج من ساحة الألم العظيم حتى مقرّ إقامة العَظَم المتلألئ. جاء الرُّعاة العميان أيضاً. وحُروف الجرّ المعذّبة. جاء حرّاس قوس قزح. وأناس كثيرون، وغلايين سُودَ كأنها من سُيوخ بني حام... ومضت

الحشود على ضِفَّة النَّارِ، ضاربةً في أرض الوحشة الزَّرْقَاء... في ذلك الوقت،
كانت الأزقة الخلفيّة تتلوّى على أعناق الدّئاب، والمطرُ، مُشعّناً، يتقاذف على
إيقاع قَرع الطُّبول.

تفاصيل الدّهشة

الأنوارُ شاحبةٌ على سيقان الليلك
الخطى مُحطّمة على بلاط الشوارع
الأمواج ساكنةٌ في جنبات الحدائق
لا شيء تغير

بعد أن هجرت هذه النّافذة

حيثُ يضحكُ العصفور

هذه الغرفة حيثُ نظرتُك

ورنينُ أساورك

شالك، وآهاتك التي من بنفسج

ما تزالُ منثورةً على الشّراشف

المكتظة بأنفاسك

وفوق المنضدة المبقّعة بالجبر

حيث يُقهقه بوقاحة

تمثال بوذا المترهل

للأسف لم أستطع أن أبدو يائساً

مثل نَشِيدِ ناضِبٍ مثل جدولِ هَرَمٍ
لأنَّ تفاصيلَ الدَّهْشَةِ تَمَّتْ خارجَ حَيَاتِي
لأنَّ أنْفاسِي تتلَعَثُ في العِراءِ
فيما التَّلَجُّ يتساقط من سَقَفِ الغُرفةِ
ويلعب في حُضْنِي كطفلٍ
لا شيءَ تَغَيَّرَ

هَيْئَةُ الوِزَالِ تَسْرِي في المِروِجِ البَعِيدَةِ
والسَّمَاءُ تَنْتُ رِذَاذَ الهِذْيَانِ
وأنتِ تَتَخَلَّصِينَ من دَمَكِ وتَجْرِينَ
بين أشجارِ الصَّنوبرِ المَريضةِ
وعلى الأرصفةِ التي تَغْصُ
بعذابِ الموسيقى.

كان قَوْسُ قَرَحٍ يَتَزَحَلُّ على كَشْحِ هَضِيمٍ
والزَّبْدُ يَكْرُرُ أحلامَ المحيطِ
كانت أحلامكِ تَتَبِعُكِ
وأنتِ تَتَلَذَّذِينَ بالهَمْسِ وبالكلامِ
وفي منتصفِ العبارةِ تَخْتَفِينَ
تاركةً طيفَكِ في المِراةِ

تاركةً همومك الصَّغيرة على عتبة الباب
وجهك في بدايات النَّهار
وثوانيك الزَّرقاء
في قلب السَّاعة الذهبي.
لا شيء تغيَّر
رعشتك تنسرب في خروم الدَّنتيلا
خوفك ينسدل على جبیني
وأنا أبتكرُ سيرةً لوردٍ عابر
قبل أن أضعَ يديَّ على مفتاح العلاقة
ورأسي خارج رواقه البهجة
قبل أن أغمس عينيَّ في لعابِ الوسادة
المرصَّعة بنومك وعطرك
وأنصتَ لطحالب المستنقعات
وهي تنمو بين ضلوعي
في هذه الغرفة الكئيبة كابتسامة القنيل
حيث الوقت دائماً
منتصفُ الليل

مُرَاوِدَةٌ

افتحي فمك قليلاً
وَلتُوقِظْ أنفاسك عيني
من سُباتٍ أَمْنَحُه لطائر

ها أنذا أفتح ذراعي الآن
لأَمْنَحِكَ نبْضَ الماءِ الحيِّ

ظِلُّكَ يجوب ضفافاً بعيدة
وظلِّي الذي يتبعه
سقط مُهَشَّماً على إفريز الصُّباح

لكنَّ نيرانِي دائماً تدعوك
عليك بتلمُّسِ الجَمرة.

خلف نافذتي...

خلف نافذتي المرصعة بالبروق
تقصف أجنحة الفجر
نُجيماتٍ وليدة

في الخُقول المُنهكة
حيثُ تتناجي بُقَعُ دَمٍ وأزهار
يرسم بخارٍ مسلوخ
أشعةً ومجاذيف
على صفحة جلده المتهدّل
ويُحدّق عرّاف بعينه الزّجاجيتين
في غُضونٍ إليه مُحنّط
بينما يتدلّى جنديّ باسمٍ
من المشنقة

أولئك أسلافي

وما عادوا يتعرّفون عليّ
لقد قصّرت قامتي حقّاً
بسبب الصّباحات الشّاحبة
التي تضغط على كاهلي
عند اليقظة

لست متوجّساً من هذا
فما دام قلبُ المرأة ينبض
ثمّة أملٌ كبير
في انبعاث الشّفاة من رمادها

إذاك ستينع القبل
وتستمتع عظام الموتى
بغناء النمل...

أتنصّت لأشجان موجة يتيمة
بعد قليل أخرج للتّجوال
سيكون لركبتي شكلُ شعلة

أنا لا يُرعبني لُعابُ الفوانيس

ولا سُعال الدُّباب

خلف الواجّهات الأنيقة

لكنْ أَخْبِرُونِي

لماذا يتدنَّرُ المَرْضَى

بمعزُوفة الرِّيح

وأين هي سُرَّة الصَّحراء

الحنجرة تنتظر لحظة نُضوج الصَّرخة

الجرادة تتأوَّه على قِمَّة المدخنة

هنالك مفاجآت كثيرة في جنبات المدينة:

لقد شُرِع في صلب النّادل أمام المقهى

لقد تساقط ريشُ سنونو

على كتفيّ الحالمتين

أنا رأيت ممرّضين عُراة

يُجلّدون داخل كهف

ومساءً يُوضَعُ في تابوتٍ من غبار
وزوجين سعيدين حقًّا
لهما ذرِّيَّةٌ من فلّين

وها أنت يا ذكرياتي
تنزحلقين
على ثلوج من حريرٍ

عصافيرُ سكرى

ثمّة حانةٌ أنادم فيها أشكالاً هُلاميّة، ترقبنا عيونٌ لموتى، وهي لا تزال تنبض،
منسيّةً في الكؤوس وعلى المناضد. زفيرُ السّاعات ينكأُ جراح حكايات غامضة،
بينما تبحث قطرةُ خمرٍ وحيدة عن معنى للحياة داخل حنجرة سكرٍ. الجنود
الذين حاربوا في السّراييب وعلى أرصفة المقاهي يُصوّبون بنادقهم إلى قلب
تمثالٍ يترنّج مُعربداً. والطفلة التي تهجّع منذ لحظات، تحلم بعصافير سكرى تنقرُ
لسانها الوردى. على عتبة الباب، يقف شحاذٌ باسماء، فيما تتسكّع روحه بين
صناديق القمامة، بحثاً عن قنّانٍ فارغة. "أنت شجرة مأفونة، أنت غيمةٌ مُخدّرةُ
الحواسّ، ذرّة رمل تبكي في أعماق المحيط..."، يقول النّادل المقنّع للكهل الذي
يعملُ ساعي بريد بين النّجوم. لكنّ هذا الأخير كان يغطّس عموده الفقرى في
دورق من نبيذ بابل، ويُفكّر في عذاب البشرية الذي يتمرأى في شاشة صمته
العنيد.

أعيدُ تكوين المشهد، فأرى وجهي مثقلاً بكلمات ذابلة. كلماتٍ، أنفاسي
ستسحبها خلفها إلى حيث ترتعش عظام البحر... لحظات وأمضي من شارع إلى
شارع يُطارِد خيولاً غريبة، وهي تهرع نحو برارٍ مُدثرة بغسق الكحول.

بدأت هذه الثلوج تصدأ...

أقف تحت نافذة تتردد خلفها شكاوى عجرة ومتسولين يتقاسمون خبز الملاحم القديمة. أقف تحت مطر يقضم نهد عذراء تركض في مفازة العذاب، خلال هذا المساء الذي يزفل في فساتين من عوسج. طواحيته تُفتت عظام الملائكة. وأنا الذي استهلكت هذا الإعصار الجميل، لا أرى على شاشته إلا أقدام الموتى، مغروسة في صناديق القمامة، تتشممها الذئاب... بدأت هذه الثلوج أيضاً تصدأ أمام عينيّ اللتين كانتا يمامتين سجينتين، وجلدهما أقزام كانوا لا يغادرون بطون أمهاتهم إلا خلال أعياد المجوس. نيرانهم تتأب على وسادتي كلّ صباح. دموعهم تصهل في محجريّ، فيما أصنع حماقات مشعة من رماد الأيام، وأترصد أبواباً تُهرول بأقدام آدمية، منها سأدلف إلى مدن الماضي، مُنقسماً في جسوم كثيرة. قد يكون أحدها هذا الشخّاذ الذي يغفو في محارة بحجم خرائب عمره الطويل. ومثلما يندلع شبق النار في قش صيف جميل، سيأخذني الحنين إلى ساحات مكتظة بالمهاالك، حيث عُميانٌ يسحلون وجوههم المنطفئة، إلى مرافئ ترسو فيها سفن مُحملة بقلوب الأرامل، إلى سريري الذي أمضي إليه عبر جسور سبعة، تتمدد على كلّ منها امرأة تفتح لي ذراعين من غبار... وحين أصل إلى نقطة انطلاقي، أضيغ، نشيداً في فم العاصفة.

مُختارات من مجموعة:

محفوظاً بأرخبيلات...

رَحِيل

حينَ سالتُ على جِبيني
دماءُ الغسقِ
اعتَرَتني رِيشَةُ اللحظة العَمياءِ
انسحبتُ يداي
مِنْ طُفولة الذَّهَبِ
وبداً وجهي يُسافر بلا كَلَلٍ
نحو مهابِّ الألمِ.

مُهَمَّة

إِنْتخِبْتَنِي اللَّيَالِي
لأَشْتَارَ عَسَلَ الْكَوَاكِبِ
الْمُتَدَلِّيَةِ
فَوْقَ رُؤُوسِ الْغَوَانِي
لِهَذَا "لَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا".

مَسْرَّة

جاءها مخموراً
ليسرد على عينيها
نُعاس اليمامة التي تحيا
في صندوق من طلّ
جاءها ولم يصدّق
أنّه أفلت من أشراك الرّمل
وكمائِن المصادفات
وأنّ خيول الشّوق المُجنّحة
التي حملت على صهواتها قرىً عديدة
إلى مجرّات بعيدة
هي التي أنقذته
من فحيح المسافات
جاءها مخموراً
في عينيهِ
هلوسات السّهر والترحال...

ومعها أقام تحت مظلة الهديل
محفوظاً بأرخبيلات
ولم يحزن أبداً
لدى سماعه الأغصان الجريحة
تلتف على قلبه العاشق
هو الذي جاءها
مخموراً

حاشية

أنفاس الصَّيف تتمثّر خلف ضحكة الجبل
زغبُ الضَّوء يتناثر، حُمّى من الألق
قريباً من الهاوية الزرقاء
ثمّة بحرٌ في سمّت ملك
حوله حاشيةٌ من الغرقى
وجنودٌ يخبُّون على التُّلوج
يخوضون حرباً صغيرة
ضدّ فيلقٍ من النّوايا:

بلا مبالاة، تعبّر الريح فوق المشهد.

رَقْصَة

أَعْدَتَنِي هَذِهِ الْوَرَقَةُ بِحِمَاها
لَا سَبِيلَ إِلَيَّ الشُّفَاءِ
مَنْ طَقَسَ هَذِهِ الْأَسْنَانَ
أَغْزَلُ أَنَا
حِينَ مَرَّ شَهَابٌ بِنَافِذَتِي
لَمْ يَتْرِكْ لِي غَيْرَ قُتَاتٍ مِنْ نَصَائِحِهِ
وَلَا مِمَّا كَانَتْ لِأَسْلَافِهِ
سَأَتَدَرَّعُ بِهَا كِمَاةَ الشِّتَاءِ
وَأُوْغِلُ فِي الْعِزْفِ
عَلَى كَمَنَاجَاتِ الْغَوَايَةِ...
لَكِنْ مَا الَّذِي سَأَفْعَلُهُ الْآنَ
وَقَدْ بَدَأَ هَيْكَلِي الْعَظَمِيِّ
يَرْقُصُ بِجَانِبِي
عَلَى إِيقَاعِ الْقُشْعَرِيرَةِ؟

كُنِّي لَا نَنْسِي

يَحْدُثُ

إِذَا ابْتَعَدَ الْأَعْمَى

مَخْفُوراً بِهَيْسِيسِ الظَّلَامِ

أَنْ تَنْبُثِقَ مِنْ بُوْبُؤِيهِ

عَصَافِيرُ بَرَّاقَةِ

وَأَحْيَاناً

إِذْ تَنْفُتِحُ عَيُونَ الظَّلِّ

تَتَقَمَّصُ أَزْهَارُ

شَفَاةِ الْغَوَانِي

وَمَرَّةً

رَأَيْنَا عَرَافِينَ

يَسْمُلُونَ عَيُونَ النَّهَارِ

وَبِغَامِضِ التَّعْزِيمِ

يَصْنَعُونَ مِنَ الرَّمَادِ

ظلاماً

ومرّة

فكرنا

في المصير الأسود

للظّالِبِ الحمقاء

فَنما قلقٌ كثيف

بأذقانِ أقزامٍ

يستعبدون المستنقعات

وأجراسِ أرواحنا

لكنْ

يتوجّبُ نقشُ هذا

على آماقِ قوسِ قزح

كي لا ننسى

أنّه يحدث

إذا ابتعد الأعمى...

كان صباح...

كان صباحٌ يَجُوبُ الشوارع
مُتَمَلِّياً غُرْفاً تَرْقُصُ في الضباب
وكنْتُ هائماً أيضاً على
هَمِّمةِ الحصى

حواليَّ نِيازكُ فقدتُ رُشدها
إِثْرَ صَدْمَةٍ ما والعُشبُ المَيِّتُ
يُوجِّهُ سَأْمَهُ عالياً إلى فمي
والحكايةُ التي تَدْبُ على جبيني
لم تَكُنْ لترتَاحَ في ظِلِّ
رياحٍ هبَّتْ لتخلَعُ

عن الأشجار شفاهاً
وكان الصَّبَاحُ الصَّغِيرُ يمشي
رازحاً تحت صراخ
أَسْنَانِهِ وأنا جنبه

أَتَنَصَّتْ للموسيقى الغريبة
التي تتولَّدُ

مِنْ قَلْقِ العابرين

أقبل الفجر

أخيراً،

أقبل الفجرُ جريحاً، وقد حرَّرَ أجنحته من أصفاد الخرافة. وقتها سالَ الفرج
قانياً من أنوفنا التي ما عادت تتعرَّفُ علينا.
لسنا وحدنا الحيارى!

أَلَقَ

الطفلة الغريبة التي كانت تحكي لنا

عن رفقتها لقمر وديع ألغ

والتي مضت البارحة لتنام جنب المدفأة

قائلة إنَّ عناكب مدرّبة

تنسج من نخاع الزّمن

خُمراً لإناث الزواحف

ما زالت بعدُ لم تستيقظ...

ذلك أنّها ليست في مكانها

فهي تتمدّد على شاطئ بعيد...

نمضي إليه لنرى:

ثمّة قواربٍ محمّلة بأمواج حوامل

والطّبيب المسؤول عن صحّة الزبد

ما إن رآنا

حتّى سارع إلى التّخفي

تحت كثافة ظلّه...

وهي، هنالك، مشدودة الأصابع

على ورود الليل النَّدِيَّة
والسنة الموت تلحق أجفانها...
ما يلتصع على جسدها
ليس برقاً في جداد
إنَّها الدُّموع السَّوداءُ لريح
تأكل الطَّير
من رأسها...

بَدَأَ الْمَطَرُ يُفَاجِئُنِي

على محفّة الهذيان

تتمدّد شقيقة الرّبد

مذْ صُعِقْتُ ببروق جسدها

مذْ عَشِقْتُ حدائقها المعلقة

بضفائرها

بَدَأَ الْمَطَرُ يُفَاجِئُنِي كُلّما غفوت

لذا فأحلامي دوماً

حافلة بأقواس قُزح.

مختارات من مجموعة:

رأية الـهواء

العين

الكأس المترعة بملح الليل

تجرّ غناها

أسرع قليلاً من الحمى

ثمّ عَيْنُكَ التي تذرو

باروداً كثيفاً

على ألوانٍ كانت لِعَيْنِي

ثمّة أقمار

في فضاء بيتنا

تنبض وتضخّ دماً

في سرايين الهواء

- «إنهنّ كنّ قلوباً - تقولين -

أيّامٍ كانت سنايل الحُبّ

تُصيخُ لهذيان الشمس»

- «والآن،

إذْ سنرحل، فَلتُعلمي

أَنَّ عِوْنَ المَهَا

هَنَّا اللّوَاتِي سَيُسْعِفُنَا

على الجِسر

الجسر الذي سنعبُرُه

أعلى قليلاً

من الحمَّى»

- «لا تَنَسْ

ما دُمنا سنرحل

أَنْ تَأْخُذَ السَّكَاكِينِ الذَّهَبَ

فَتَمَّةٌ فِي طَرِيقِنَا

جبلٌ صامت

يَكْنُزُ أَنْفَاسَ العَصَافِيرِ

وَيَرْمِي المُدْلِجِينَ العُزْلَ

بِأَعْيُنٍ

الجرائم»

- «أُنظري

إنها الببغاوات

المنبجسة من خطاك

تؤلف منظومةً من خرز

عن صعوبات الكلام»

الرقص أسهل حقاً

لكن قلب الموسيقى

مُثقلٌ بملح الليل

والعازف؟

جاء أطباءُ

مختصّون في العين

والكعب والحنجرة

قيّدوه شنقوه

بحبالٍ

صَوْتِيَّة

قدماه تتدليان تتدليان

تنقبضان تنبسطان

إنهما تُدَوِرَانِ

أوتار

ريح

الصَّبَا!

أمام باب الحبّ

أَرْضٌ وَهَّاجَةٌ
بِعَذَابَاتِ الْحَجَرِ، تَرْفُّ عَلَيْهَا
أَجْنَحَةٌ بِيضَاءُ
خِلَالِ أَصَائِلِ بِيضَاءِ
مِنْ هُنَاكَ جِئْتُ، وَلَمْ
يَكُنْ فِي طَرِيقِي مِنْ مُفَاجَأَاتٍ
سِوَى أَنْ يَضَعَ شُجِيرَاتٍ
كَانَتْ، أَحْيَاناً، مِنْ قَرَطِ الدَّهْشَةِ
تَتَحَوَّلُ إِلَى كَمَنَاجَاتٍ
بَيْنَمَا عَيْنُ الْحَلَزُونِ
تَقْتَنِصُ بَبْرِيقَهَا
أَلْوَانَ ثُمُورِ حَالِمَةٍ
أَنْفَاسِي كَانَتْ تَتَغَلَّغِلُ
فِي رَأْيِي مَسَاءٍ مُعَرَّبٍ
وَفِي أَثْلَامِ أَرْضِ الْمَرَايَا
مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، مَخْفُوراً

بجوارح سبق أن سَفَّت
من طَمي العدم...
والآن، افتحي الباب
قبل نضوب النّشيد
المتصاعد من أهدابي
افتحي بسرعة
فَدَمُ اللَّيْلِ بدأ يتعَفَّن
والجوارح التي تَخْفِرني
والتي هي رَوْحُ العالَم
قد تمضي لتضيع
في أدغالِ
كوكبٍ
بعيد!..

بلمسة من أكفّ النسيم...

طريقك إليّ مُموَّهةٌ بآثار مَرَح الفهود، ولكّك تتقدّمين. والمسافة التي بيننا،
بلمسةٍ من أكفّ النسيم، تصير نهراً ميّتا. أما الغرقى فيه فأخيّاء. وإنّ
أحدهم أنشبت في عنقه الأظافر التي من فيروز، فسرعان ما يلفظُ إلى أقرب
ضفة. والكراكيّ هي التي ستمضي به ليُدْفَن في أجمل نجمة... هل قلتُ لك إني
أنا نفسي كنت نهراً ميّتا، ثم جاءت تماسيحُ تقيّة، توضأت بدموعها وأقامت
عليّ صلاة الغائب، فوثبتُ بقوة، في هيئتي الأدمية هاته، وحملتني ساقاي
بأقصى سرعة إلى هذه المدينة، حيث أوجدُ بانتظارك؟ وأنتِ أنتِ، ستصليَن
ذات فجر يقذف من بين شفتيه موسيقيين أمام بابي، فيما السيمفونيات التي
تقاسمني غرفتي، تشمّر عن سيقانها وتقفز من النوافذ. وستكلمين عن الدّساكر
التي مررت بها، وتروين كيف قطعت أرض الثلوج العمياء، ذات أصل سقط
خلاله الدبّ الأكبر في الأحبولة التي نصبها له المنجّمون، وكيف جُستِ
المُرتفعات، حيث كنت أبدو لك، أحياناً، في مدخل كهف، أو حتّى على قمة
شجرة، مع أنك تعلمين تماماً أنّي هاهنا، قرب الشّعلة التي تقارعني الأنخاب،
وإذ تتعج، تحاول أن تحرق أنفاسي وشعري وأنا أبدو متوجّساً متهيّجاً
حائراً، وأحياناً، أدخل معها باستماتة اليائسين، في مفاوضات
نُجربها

بداخل إحدى الجماجم.

وَأَنَا كُنْتُ حَدَّثْتُكَ عَنِ الْغُرْقَى وَالْكَرَاكِيِّ

وَكَانَ يَحْدُثُ أَنْ يَغْرُوكَ شُحُوبٌ دَاهِمٌ:

« يَقَعُ هَذَا، فَجْأَةً،

بَسَبَبِ الرَّائِعِ مِنَ السُّمُومِ

الَّذِي يَسْرِي فِي دَمِ ظِلِّي! »

وَأَنْتِ أَنْتِ

طَرِيقُكَ إِلَيَّ

تُرْعِشِينَهَا

بِخَطْوَةٍ.

الضحك

فيما كانت دِيكَةً
تَخْلُجُ صَوْفَ السَّحَرِ
عَبَرَ نَسِيمِ رَفِيقٍ
مُتَلَفِّعاً بِحَرِيرِ الْقَوَافِي
أما الفتنَةُ النَّائِمَةُ
في صَالُونِ الْحَلَّاقَةِ
فقد أُيْقِظَهَا شَعْرُكَ
ثَانِيَةً

ثمَّ بدأتِ تَرْكُضِينَ
خَلْفَ جَدَاوِلَ جَاءَتْ مِنْ بَعِيدٍ
جَدَاوِلَ كَشَطَتْ بِأُظَافِرِهَا
أَهْرَامَاتِ
عَنْ جِلْدِ أَخْنَاتُونِ
ثمَّ عَادَتْ لِتَسْرِيحِ
فِي عُيُونِ الْمَجَانِينِ
تَبْتَعِدِينَ

وَتُغْضِينَ عَنِّي
مِثْلَمَا تَتَجَاهَلُ النَّاظِدَةُ
الْجِدَارَ
وَأَنَا مَضْهُرٌ
لِكُرُومِ الْيَأْسِ الْحَمْرَاءِ
نَاطُورُ الْبَسْتَانِ الَّذِي
يَتَشَكَّلُ مِنْ هَيْئَمَاتِكَ

تُغْضِينَ
أَنْتِ الَّتِي دَمَدِمْتُ فِي ذَاكَرَتِكَ
طِفْوَلةَ الْمِيَاهِ وَغَنَّتْ
حَدَّ أَنْتِ، طِيلَةَ لَيْالٍ،
مَا كُنْتَ تَتَحَرَّكِينَ حَوْلَ رُشْغِي
أَوْ عَلَى زَبَدِ الْفَضَاءِ
إِلَّا سَبَاحَةً

مُتَّكِنَةً عَلَى جِدَارِ
مِنْ صَبَوَاتِ
قَرَبِ رَبَابَةٍ
تَنْسُجُ كَسُوفَاتِ
مِنْ أَلْيَافِ أَحْلَامِهَا

أَرْقُبُكَ وَأَنْتَ تُسْرَنِمِينِ
عَلَى مِيَاهِ نَهْرٍ
نُؤْمُ مَغْنَاطِيسِيَا
وَحُكْمَ عَلَيْهِ بِالضَّحِكِ
مَدَى الْحَيَاةِ

وَسِرْتُ نَحْوَكِ تَحْتَ أَمْطَارٍ
مَضْرَجَةٍ بِزُرْقَةٍ وَلَادَتَهَا
وَتَحْتَ بَرْقٍ رَجِيمٍ
إِلَى أَنْ، أَنَا نَفْسِي،
فِي حِضْنِ
الزُّوْبَعَةِ
سَقَطْتُ

وَكَانَتِ الزُّوْبَعَةُ
قَدْ اندلعتُ حَقًّا
فِي فَنَجَانٍ صَغِيرٍ!

مَرَّتْ سَاعَاتٌ تَوْتَرُ أَقْوَاسَهَا
إِعْتَزَلْتُ آلِهَةً فِي أَقْفَاصِ
عَبَّرْتُ عَرَبَاتِ

محمّلة برّيش كثير
يدفعها رُضّع ضاحكون
أَلَقْتُ أَيْكَةً بهوأمّها
على قذالي
وأنا أبذل كامل جهدي
لأغادر محبسي:
الفتجان الصّغير!

في عيني اليمنى
تلالٌ تَنُغُو
وقرب قدميّ
الزمن، أشقرّ ماكرأ،
يَعْرِضُ على السماء
غروباً مُزَيِّفاً

وإذْ خَفَقْتُ، في الأعلى،
رايةُ الهواء الوحيدة
التي هي الغراب
حَطَمْتُ، أخيراً، أسوارَ الفتجان
وخلُصْتُ من محبسي
بجراح

طفيفة!

وها قد جاءتُ نجمةُ جبينك
التي اسمُها لمعةُ الجيران يوم
ونادين - هي
وجراحي -
صيفاً يَغْدُ السَّير

نادين مساءً
يهبط بمنطاد
ولم يكن الظلام كثيفاً
حين بدأت أراغُنُ شعرك
تُغذي شائعات
عن حبل الأرض
بأرضٍ أخرى.

قصائد مختارة من مجموعة:
فراشة من هيدروجين

لفائف سحرية (1)

نحن وحيدان في هذا المقهى
ولا نأمة تصل آذاننا، عدا
هسيس عظام فجر
يشيخ سعيداً
نُصت، نُدخن لفايف
سحرية، يخف وزُننا
نرتفع، مُبددين في
الهواء، مطراً
ونُدف ثلج...
الأرض نفسها
داخت، فما عادت تجتذبنا
ويبدو أنها كفت
عن الدوران!
غربانٌ تحسب أنها كواكب
بدأت تدور حولها!

لفائف سحرية (2)

نُغْنِي بِاللِّسَنَةِ الَّذِينَ رَكُضُوا
بِمُجَرَّدِ مَا وُلِدُوا
فِي مَا ثَلَاثُ غَيَمَاتٍ
تُحْتَضِرُ حَوْلَ رَأْسِنَا
الْأَمْهَاتُ فِي هَذَا الْمَقْهَى
أَقْلَ مِنْ أَسْمَائِهِنَّ
دَخْنَا وَدَخْنَا
فَمَضَتْ عِظَامُنَا
لِتَوَازَرَ أَخَانَا الْمَطَرُ
أَخَانَا السَّاقِطُ لَكُنَّا
نُبْجِلُهُ
مِنَ الدَّخَانِ صُغْنَا أَطْفَالَ
دَلَفُوا إِلَى بَطْنِ أُمِّ
وَهَنَّاكَ تَلَالُؤُوا

لفائف سحرية (3)

من حولنا قلوب صغيرة تُشقى
وصناديق يُقال فيها الحديد فيه
بأش شديد
لكننا ندخن وجداول النسيم
بخنؤ تلامس أكتافنا
نعلم أن جسدنا
قد يضيعان في هذه العاصفة من
التصفيق
الآبار محظورة في هذا المكان
إنه المقهى الذي وأدوا
تحت آلام القمر
يومها، تركنا رأسنا
في غابة
لتستعملها العنادل
المضروبة الأعناق

في ربيع العمر

رأفةً، لم نُوقظ الدّموع
المتمدّدة جنب رأسينا
وكلما عمّ الأرقُّ أعالي الجبال
زوّدنا الجداولَ المُنهكة
بنغمات ومُسكّنات
كنّا بعدُ في ربيع العمر
فما إنْ ضَرَبْنَا خِياماً
لقبيلة الرُّضْع التائهين
حتى دفعت بنا العصافير توّاً
إلى مشارف السّتين
واحدٌ منها امتزج بهمسك
ثمّ طار بعيوننا فلم نعدْ
نُدرك منه
إلا الرّفيف!
لكننا، بالتّأكيد
سنسترجع هاتيك العيون
حين تسقط مع الثّلوج

في صباح شتائي
خير
من ألف شهر

ذِكْرِي

كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ حَاضِرًا

أثناء الاستقبال

أَنْ أَحْتَمِلَ كُلَّ تِلْكَ الْقَسْوَةِ

أَنَا الَّذِي لَمْ أَقُلْ يَوْمًا لِجَدُول:

أَصُمْتُ

أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَشْتَرِي النَّوْمَ

بِنَقُودٍ مَسْكُوكَةٍ مِنْ أَعْصَابِ الْجَبِينِ

وَلَا أَرَى فِي الْحُلْمِ سِوَى

شَجَرَةٍ مِنْ مَاءٍ

فِيهَا يَغْرُقُ الْعُضْفُورُ

وَتَنْطَفِئُ جَمْرَةُ الرِّيحِ

قُمْ لَتَكُونَ حَاضِرًا لِلْإِسْتِقْبَالِ

قَالَ أَبِي

ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ أَسْلَافِنَا

قَدْ أَبْهَرَ

مِنْ مِينَاءِ

الْمَوْتِ

رسالة إلى نفسي

أنا على ضفة نهر.
السَّماء مُلبَّدة بزئيق صفارات الإنذار
في أحد الكواكب.
أسمع أيضاً قرعاً في عظامي
فكأنها طبولٌ دقيقة.
في وسط النّهر، تظهرُ السّمة
أكلةُ العرقى.
على الضّفة المُقابلة، امرأةٌ تتعرّى.
وها هي تسبح على ظهرها، تتلذّذ
من ركبتها.
تُقبل نحوي ثمّ تعكس وجهتها.
إنها متردّدة، إنها متردّدة.
مياهُ النّهر غاضبة من هذا.
غضبُها يَصّاعدُ شَفراتٍ
تُصيب الكثير من صغار الطير.
هل أبقى على هاته الضّفة
التّعيسة؟

يَمْرُقُ أَمَامَ عَيْنِي طَائِرٌ
إِنَّهُ يَشْحُبُ وَيَشْحُبُ
رَبِّمَا هُوَ خَائِفٌ مِنَ الشَّفَرَاتِ
رَبِّمَا هُوَ يَتَذَكَّرُ الشَّجَرَةَ
الَّتِي احْتَضَنْتُ
حُبَّهُ الْأَوَّلَ.
أَبْقَى هُنَا
مُنْصَتًّا لِلْقَرَعِ الْمُتَصَاعِدِ
مِنْ عِظَامِي؟

وقفْتُ إلى جانب البئر

أنتِ لستِ الآن في الغرفة- لأنك تبحثين في الحديقة، عني أو عن السحلية
التي غارت في رائحة العسل- فيما، من النافذة، تدلف الآهة، قادمة من فم
بعيد، فتُحدّب ظهور المناضد وتُحيل أغنيتي إلى غبار.

أنا الآن على الشاطئ: أمامي السحرة، صهّد عيونهم حول بيوتاً عديدة إلى
دخان. العالم رهيب، يُكرّرون، فتنشب حروب ويتساقط نخاع شوكي كثير
في صحون الباذنجان المقلّي وتشتدّ ألأم كلّ هائم...

سأليني مرّة هل تُزعجني قرعة عظامك أثناء النوم. حدث ذلك ليلة شاب
القمر. وكان الألم يتساقط مُوهماً أنه مطر. ومضينا معاً إلى الحديقة، فوقفنا
إلى جانب البئر التي تحلم ببلد بعيد.

وها أنا، من جديد، أمّرّ يدي على سنام منضدة، وأدرك أنني لن أذهب غداً
لرؤية عظام جدّي، وأنت ستصفيني بالكسول، العبثي، بالتائه الأبدّي.

أحياناً، تكون ماضياً في طريقك، فإذا بنحلة تعترض سبيلك، تتمدّد
أمامك في عرض الشارع، فتبقى واقفاً فوق ضحكك، ويحييك صديق يوناني
يَبذر قمح الإلياذة في أثلام كفه اليسرى، فتقف مشدوهاً، إن لم تلذّ بالفرار.

التقيتُ بالحصان

أمضي شاحباً، لا أتوقف إلا جنب الفتاة التي تمدّ يدها فوق بحيرةٍ تقولُ إنّ ماءها سينضب إن استمرّت السمكة الحمراء في عضّ الطحالب ذات الأحذية الحديد.

تقول: إنك شاحبٌ لأنني امتصت لسانك وأنت نائم.
وأنا لم أركب اليوم حصاني لأنه كان قد نسي حدوة يوم بلغ أشده قرب جدول، وأصبح يهاب الضفاف!

التقيتُ بالحصان في آخر تانغو بباريس، وبالفتاة حين كنا نلبس جواربنا أمام إحدى الكاتدرائيات، وسرعان ما وجدنا نفسي نَصْفِرُ في طنجة. روث لي كيف كانت ترسم دوائر خضراء لِيُرَبِّي فيها الشّئ أغنامـه. وقالت إنّها بدورها ربّت فراشة من هيدروجين في شَعْرها.

أخبرتها بأني، في الطفولة، كنت قد ركلتُ تمثالا، فاخترقتُ شُعلةً قنديلٍ حشداً من الكلاب نحوي. وكنتُ، كلما تشكّلت قارورة من ظلّ يمامة، أسارع إلى ملئها بماء بارد!

قالت: أنت نهري الشاحب، أنت نهري.

والتفاحة في يدي...

كيف يُمكنني أن أشعل السجارة، وكلّ القدّاحات تَحَفَّت في رُديك، مُذْ رأيتِ في الحلم أنك تُحرقين خدّي.

بالأمس، كنّا في الطّريق إلى عيادة الطّبيب، ومرّ أمامنا صديقي المجنون. كان يُكرّر: النّحلة تحت السّاطور، النّحلة تحت السّاطور، وشعرتُ أنّي سأبكي أو أضحك، لكنّه اختفى سريعاً، وكان دمّ ينساب من الحُقن التي تخبّ جنب أقدامنا، والطقس بداخل آذان الكلاب يتحوّل من فاتر إلى شديد البرودة، وفي الأعلى، عينُ الرّعد تتّسع وتتسع.

لماذا تريدان إحراق خدّي؟

مسحتُ أعصابي بإسفنجة كما يفعلون أحياناً بأعصاب السيّارات، ثمّ وجدنا أنفسنا على الشّاطئ، وأردنا أن نتأمّل البحر. لكنّ لم يكن قد بقي منه إلا سبعُ موجات عجاف، يحملن في مقاعدهنّ الخلفية سبعَ نساء ضاحكات. إلى أين يتّجهن بهن؟ في كفّ كل امرأة شمعدان. وفي الجحور القريبة، سقط مطر على الفئران. وكان هنالك من يطوي البُسْط ويفرّش الصرّخات.

لماذا تحلمين بإحراق خدي؟

الطّبيب قال لا تركبا، بعدُ، سيّارة جريحة.

ترسو المربعات

رغم أني مُخترع
بارومتر الآلام
فقد سئمتُ المكوث في هذه الجزيرة
كلما انزاحت نحو الساحل
أقول: إنه النسيم الهائم
كلما بدأنا نتأمل الشفق، كلُّ
في قعر كأسه
إلا وترسو قرب رؤوسنا المربعات
التي تأسر بين أضلاعها العصافير
ويوم أعيدت إلينا أنفاس الغابة
بدأت أرقامنا
تتبعنا!
ثم سقط وجهي الحجري
على وجهي
وها إنني أزمعتُ الرحيل

بعيداً، بعيداً
حتّى مدينة الممارك
التي تنزلق على جدرانها
الكدمات
حتّى ضفّة النهر الذي يُكدن
كلّما ابتسم فيه غريق

حكاية

رَجُلٌ مَفْتُولُ الْعَضَلَاتِ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلَاكِمَ الزَّبَدَ
مَعَ هَذَا، جِدَّ رَفِيقٍ
رَأَى يَدَيِ الْفَجْرِ تُقْطَعَانِ
فَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ
وَمِنْ دُمُوعِهِ
تَكُونَتِ الْيَدَانِ مُجَدَّدَا
أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً، نَزَلَ الدَّرَجُ
نَحْوَ غُرْفَةِ الْوَاحِدِ
فِي كُلِّ مَرَّةٍ، يَطْرُقُ الْبَابَ مُطَوِّلاً
وَلَا مِنْ مُجِيبٍ
بَدَأَ شَكُّهُ يَهْصِرُهُ
وَأَخِيرًا، أَدْرَكَ أَنَّ الْوَاحِدَ قَدْ اخْتَفَى
أَنَّ الْأَيَّامَ الْمُتَبَقِّيةَ
فِي جِدَادٍ

وأنّه يطرقُ بابَ غُرفةٍ فارغةٍ
إلا من رائحة الدّم
وبقايا كوابيس

مختارات من مجموعة:

رَجُلٌ يَتَسِمُ للعصافير

مزوكة

إِبْقَ فِي بَيْتِكَ فَلَا جَدِيدَ فِي الْخَارِجِ
أَتُرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ لِتَرَى الْمَجْنُونِ
يَتَأَمَّلُ فِي غَيْمَةٍ-مِرَاةٍ
نِصْفَ وَجْهِهِ الْأَثِيرِ لَدَيْهِ
أَوْ لِتَرْمِي بِحَجَرٍ
الْخَذْرُوفَ الْخَرِفِ
الَّذِي لَا يَكْفُ عَنْ الدَّوْرَانِ
تَحْتَ أَعْمَدَةِ الْمَصَابِيحِ
أَمْ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَلْتَقِطَ صُورَةَ أُخِيرَةِ
لِمِزْوَحَتِكَ الْمُسْكِينَةِ
الَّتِي تَفَكَّكَتْ عِظَامُهَا
بَعْدَ أَنْ لَفْظَتْهَا بِلَا رَأْفَةٍ
أَيُّهَا الْقَاسِي
يَا حَفَّارَ قُبُورِ الْقَنَانِيِّ
هَكَذَا تَحَدَّثَ إِلَيَّ طَيْفُ أَوْفِيلِيَا

وَأَنَا أَمْضِي نَحْوَ الْبَابِ وَمِنْ بَعِيدٍ
يَصِلُنِي هَدِيْلُ حَمَائِمَ
مِنْ نَبِيذٍ

مقادير مجهولة

مَعَ الْفَجْرِ جَاءَتْ مِنْ مَغَاوِرَ بِالشَّاطِئِ

حِسَانٌ مُشَاكِسَاتٍ

وَبِأَنْغَامِ النَّيَّاتِ

شُرْعَنَ فِي تَهْيِيجِ أَشْجَارِ

الشَّارِعِ الْكَبِيرِ

فِي الصَّبَاحِ تَوَزَّعَ فِي جَنَابَاتِ الْمَدِينَةِ

أَطْفَالٌ مِنْ مَرْجَانِ

لِيَحْرَسُوا بَارَاتِ يَوْمِهَا عَمِيَانُ

وَحَيُولُهُمْ

بَعْدَ الظَّهِيرَةِ كَانَ مِنْ بَيْنِنَا مَنْ أَغْفَى

فِي سِينَمَا مِيَالِيَشٍ فِيمَا كَانَتْ سَارَةَ مَائِلَزَ

فِي دَوْرِ ابْنَةِ رَايْنِ تَتَلَقَّى الشَّتَائِمَ

مَذْعُورَةً

بُعَيْدَ الْغُرُوبِ ظَهَرَتْ أَشْبَاخُ

دَرَّاجَاتِنَا الْقَدِيمَةِ

وبدافع الحنين اعترضت سبلنا
في الليل ربّما تُوجَزُ المدينة
هل حقّاً ستُصبح
في حجم قبضة اليد
بعد أن عشنا فيها طويلاً
كمقادير مجهولة
في مُعادلات الرّيح
والليالي

من نصائح جدّي ومأثور أقواله

- لا تأبئة لهم إذا
وضعوا عظامك تحت المراقبة
أخف الأجراس في الأعشاش
رُصّ أحلامك في الأقداح
دُسّ الكهرباء في الأحجار
فلن يعثروا ضدّك
على دليل

- لا تخرج في منتصف ليالي الجليد
إذ المقاهي وحدها تجوس الشوارع
والعسس مُغلّقو الأبواب
ولا تبغ حذاءك القديم
أتركه حتّى تعود من سفرك
واسكن فيه

- إذا رأيتَ الجرادَ يغزو رئات الرّاقصات
وَزُكِمَتِ الغُرُفُ وعزّ الدّواء
إذا رأيتَ مجنوناً يلفّ صرخته حول ساعده
وأنتى من طحالب يضاجعها غريق
فاعلم أنّها حربٌ جديدة
تنهياً في الخفاء

- لا تُسافر أبداً
إذا أضربَ ربابنةُ البرق
وسرّعتِ الأرضُ دورانها
لتُدَوِّخَ النمل
وتمّ استنساخُ الرّيح
فهذه كلّها من علائم النّحس

- لا تَبِعِ القناني الفارغة
إذا كان ينبعثُ منها الشّخير
واتّبِعْ نصيحةَ أبي حيّان
فلا تنم إلا وقُربَ رأسك حجر

أَوْ حَجَرَانِ

- إِذَا اقْتَرَبْتُ مِنْكَ نَمْلَةً

وَرَأَيْتَ فِي عَيْنَيْهَا ضُفْرَةً

وَسَمِعْتَ صَرِيرَ مَفَاصِلِهَا

فَاعْلَمْ أَنَّهَا لَا مُحَالَةَ هَالِكَةٍ

وَإِذَا رَأَيْتَ الدَّمْعَ

الَّتِي تَنْهَادِي عَلَى الْأَعْشَابِ

قَدْ سَارَعْتُ إِلَى دُخُولِ

غَيْرَانِهَا

فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَوَجَّسَتْ مِنْ خَطَاكَ

إِيَّاكَ وَمَشِيَةَ الْعَسْكَرِ

- وَلَا تَتْرَكَ قَطَّ أَنْفَاسِكَ الْاِحْتِيَاطِيَّةِ

فِي مُتَنَاوِلِ غَيْرِكَ

- إِذَا اِنْدَسَّتِ السَّجَائِرُ فِي شَقِّ

حَائِطِ

لا تُشَقَّ عليها
لا تجعلها تخرج من مخبئها
مرغمةً
إمض لتتجول بعض الوقت
وإذا مررت جنب جدولٍ لعاب
فحاذر أن تطأه بقدمك
اعلم أنه تسَلَّ من سجنٍ للشَّفاة
واسأل عن بيت المهندس الذي
اكتشف آبار نفط
في جمجمته
إنَّه عَمُّكَ
الذي أنجبته لي امرأة
من الماضي السَّحيق
تعرَّفتُ إليها وهي بعدُ
محمَّلةٌ بموج الشمال
في سنة زحفت فيها الكهوف
على المدن
وصارت، رحمها الله، في آخر

أَيَّامَهَا

تَسْوِخُ، شَيْئًا فَشَيْئًا، فِي التَّلَجِّ

الْمَتَهَا طَلَّ مِنْ ذَاكِرَتِهَا

إِلَى أَنْ اخْتَفَتْ

كُلِّيَّة

- إِذَا كُنْتَ فِي سَفَرٍ

وَوَجَدْتَ نَفْسَكَ عَلَى مِشَارِفِ

غَابَةِ

وَأُظْهِرْتُ لَكَ نَبْتَةَ قُرَاصِ

لِسَانِهَا

فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَثَلَّاتِ قَاطِعَةَ الطَّرِيقِ

تَكْمُنُ لِلْعَابِرِينَ خَلْفَ الْأَشْجَارِ

تَأْهَبُ

أَخْرَجَ قَوْسَكَ

اخْتَرِ الْأَصْلَبَ مِنْ سِهَامِكَ

وَإِذَا خَلَّصْتَ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ

رَبِحْتَ بَطَاقَةَ سَفَرٍ إِلَى جَزِيرَةٍ

جميلة وَشَبِقة
تجدها في استقبالك
عاريةً

ربّما يكون لي حصان

الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة
في البداية، لم تُبادلني عواطفني
حزنتُ ثمّ نسيْتُها
لم أعد أترصّدُها كلّ أحد أمام بيت أبيها
حيثُ تصنّعُ الكعك
تدُرّس حياة الجراد
وتُنصتُ إلى أغاني الحاجة الحَمْدَاوِيَّة
يحلُّ الأحد، فأمضي إلى البار ثمّ
إلى ملعب كرة القدم لتشجيع الفريق الذي أناصره
إنّه دينامو البرنُوصي
أو إلى البار ثمّ رأساً إلى غرفة مريم
التي تبيعُ لي الهوى بالدين وفي المُقابل
أطفئُ الضّوء قبل أن أستلقي في سريرها
وأُتخيّل أنّها الفتاة التي أحببت
وأنا في السادسة عشرة

بعد وقتٍ سنمتُ لعبة التَّخيل تلك وأصبحتُ أضاجُ
مريم باعتبارها مريم فحسب

التي تروي لي قصّة حبّ والدّها العسكري وأمّها
التي قضت طفولتها في اليونان

لكنّ القصص، كما لا يخفى عليكم، لا تنتهي
كلّ يوم أحد

تخرج الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة
تمضي لتُحيي البحر، ثمّ لشراء

مجلة متخصصة في وصفات الكعك الجديدة
تتمشّى على قارعة الطريق تتلقّى

التّهنئة من رجل يجوب البلاد بحثاً
عن امرأة أضاعها في مرفأ

يقول الرجل إنه يهنئها بمناسبة حصولها على البكالوريا
لكنّي لم أجتز بعدُ الامتحانات، تقول هي

فينجل الرجل البدين

وينصرف ويقوم بجولة في رواقٍ بالسّوق
الأسبوعيّ تُباع فيه النّايات بحثاً

عن ناي مسحور

يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ لَكَ تَلْقَائِيًّا سِيْمْفُونِيَّةً
أَوْ مُوسِيْقًا أَوْبِرًا
لِمُوتَسَارَتِ لِهَائِدِنِ لِمُنْدِلُزُونِ
أَنْ يُغْنِيَ لَكَ أَغْنِيَّةَ
لِلْحَاجَّةِ الْحَمْدَاوِيَّةِ
أَمَّا هِيَ فَتَنْصَرِفُ لِتَذَرَعَ أَرْجَاءَ
جَنَاحٍ مِنْ السُّوقِ الْأَسْبُوعِيِّ نَفْسَهُ
خَاطِّصَ بَيَاعَةِ الْوُجُوهِ الْقَدِيمَةِ وَمُسَاعَدِيهِمْ
مِنْ الْكِيمِيَاءِ الْعَمِيَانِ
بَحْثًا عَنْ وَجْهِ شَهْرَزَادٍ وَوَجْهِ حَسَنَاءَ
مِنْ تَمْبُوكْتُو
وَوَجْهِ غَرِيْتَا غَارِبُو
فِي الْبَدَايَةِ، لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهَا
تَسْتَعِدُّ لِلتَّنَكُّرِ، كُنْتُ وَقْتُهَا
فِي الْمَلْعَبِ أَضْفِرُ بِأَقْصَى جَهْدِي
ضِدَّ الْحَكَمِ الَّذِي أَعْلَنَ عَنْ رَكْلَةٍ جَزَاءَ
ضِدَّ دِينَامُو الْبِرْنُوصِيِّ
لَكِنِّي هَذَا الصَّبَاحَ، غِيبَ لَيْلَةٍ اعْتَقَدْتُ أَنِّي

قضيتها مع واحدة من أجمل فتيات تمبوكتو
اكتشفت أن ضجيعتي
لم تكن سوى مارية، الفتاة التي أحببت وأنا
في السادسة عشرة
لقد استعملت قناعاً إذن
بعد سنة من الآن سنتخاصم
بعد سنة من الآن ستكثر الدراجات النارية على
الطريق التي تؤدي إلى بركة عوا
بعد سنة من الآن ستلوي هضبة من مخص شديد
والمداخن ستطوِّع لتحمل آلام الولادة
عن الفتيات الحوامل
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث
سأكون في غابة بعيدة
لن أكون قد أصبحت فهداً أو ببغاء
سجائباً أو زرافة أو عظاية
لكن ستقيم معي امرأة في كوخ في غابة
أو في كوخ على شفا حوض تعيش فيه تما سيح
صغيرة مسالمة تستطيع حتى أن

تُصافحك بأطراف أذنايها
هناك قرب تمبوكتو
سيكون الطّقس حارّاً جدّاً
وربّما سيكون لي حصانٌ عظامه
من شرار
حصان هادئ جدّاً روحه
من مسحوق الذهب
ربّما تكون لي درّاجة
تستطيع بصير عجلاتها أن تصنع السّراب
الذي يجتذب عابرين كثيرين
هكذا سيُمكنني أن أستقبل في كوفي
راقصاتٍ شهيرات
مثل الجوكندة
وأبطالاً في القفز العلوي
مثل حمّورابي
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث
فثمة أنفاس باردة تنطلق الآن من عيني
وتُصبح ضباة كبيرة تجدها في المساء

قد حاصرت القطارات والأرامل
لذا أسارع بالوقوف وربما بعد دقيقة
بعد دقيقتين بعد ثلاث
سأغادر هذه الغرفة
في طريقي إلى بار مارسيل سيردان، ألتقي
زميلتي في العمل، لا أستطيع تذكر اسمها، لكنها
تدعوني لمعرض لوحاتها
الذي تقيمه في عرض البحر، بحثاً
عن التميز
لا أستطيع أن أصبح حتى هناك، أقول لها
فتجيب: لقد أصبتُ شَعْرَكَ
برصاصاتي
في شارع الإربيانة، أجد أعزّ أصدقائي
في انتظاري نمضي لنشرب معا إنه ذو سلطة
في البحر إنه
ينشغل الآن بتوجيه سهام البارانونيا إلى
أيائل مُتَخَفِّية خلف عجلات السيّارات
فيما أفكر في مُستقبلي

وما سأفعل وما سيحدثُ لي

بعد سنة بعد سنتين

بعد ثلاث

قرب السّناجب

العشيقة غائبة منذ أيام
الغرفة نائمة منذ ساعات
مُطوّقةً بسياج من ألعاب جدرانها وأنت أمام الباب
ولا تَدْخُل
وكُنْتَ وقفتَ أمام باب المسرح طويلاً
ولم تدخل ثم جاءك الخبر
بأنّ الممثل القصير الذي كنت تنوي
أن تُجرِّي معه حواراً لصحيفتك
اختفى من على الخشبة بعد أن تهشّمت أوفيليا
وتناثر قطّع زجاج
قالوا إنّ للممثل القصير أنفاً من المهمات
قالوا إذا أُغمي ثانية على الشّفق
سيظهر من جديد
الموتى ساكنو القناني
ويهطل المطر
وتبرز تجاعيد الحلزون الهرم

ليس لازماً أن تكون هاملت لتشفق على أوفيليا
ولا داعي لأن تركل الباب بعنف
من أجل أن تُوقظ الغرفة
وإن جاءك من الداخل أصوات ارتطام الروبوبات
فمعلوم أنها تنبثق
من رواية الخيال العلمي
المفتوحة على المنضدة
قُرب قطرة الحبر المهيبة
وأجراس النحو التي ترنّ
على رأس كل ساعة
لا تنس أن تكتب إلى الغائبة
ياه! إنك تتطلّع إلى الأشجار
ياه! كم السهر طويل على الأغصان
وفي مدفن الألوان النافقة
ياه! في الأعالي غيوم من السلوفان
تُخشخش في الريح الباردة
لا داعي لأن تركل الباب
يحدث أن تنام الغرف

أن يتناثر أحدهم شظايا
أن تفرّ امرأة من تعاسة رجل
ومع ذلك تستمرّ الأرض في تلميع شعرها
إمض بروح المتشرّد التي تتقمصك
واقض الليل في واحد من جراح الغابة
قرب السّناجب الهاربة
من الغيُتّوات

جَدّ

على أقدامهم التي مشّطت شعر الحقول جاؤوا
من كابوس القبيلة كانوا قد نبشوا دموعاً
ليستعملوها في أيام الحداد السبعة
كانوا من عشيرة يشترك أبناؤها دوماً
في نفس الأحلام
في الليلة الفائتة رأوا في المنام أنّهم حلازين
لم يستغربوا الرؤيا
رغم أنّ الفصل لم يكن
شتاءً

من مستودع للأموات تُحفظ فيه جثث إلى أن
يحضر الأهل لدفنها، سرقوا
جُثّة صديقهم
غطسوها ثلاثاً في بُحيرة
نقلوها في عربة من شارع إلى آخر

وفي الطابق الرابع للملهاة
أجلسوا الصديق على أريكة في البلكون
مؤلين وجهه شطر المسبح الذي يبدو، من عل،
كأنه غير واقعي

وفي الآن نفسه، بيّن المعالم

عينا الصديق موجهتان إلى أسفل
كأنما هو، أيضاً، يتملى بخضرة الماء
بمراى أجساد غضة
لإناث يحقن صدورهنّ
بقليل من وهج الأصيل

الثلاثة شربوا في صحة الصديق
لم يثنهم عن ذلك علمهم أنه ميت
بل إنهم وضعوا أمامه كأساً
وهو لا يدري كم ساعة مرّت على موته
لكنه يدرك أنّ مجالسيه
نثروا على وجهه أحلاماً بيضاء

كانوا قد اشتروها - للمناسبة- من سوق ليلى

يذكر أنهم ألبسوه ثياباً

القميص جميل حقاً

لقد نسجته بأسنانها عاقر

كانت قد تبنت كُوساةً ونحلتين

قبل أن تنيه في الحقول، مُلّوحة للفراغ

بجدائل تعود إلى أيام

طفولتها

يذكر آخر مرة دخل فيها بيته

وكيف فوجئ إذ لاحظ أن الأبواب

أصبحت من عجيب

وكيف ألق -أمام عينيه-

الموقدُ بجمراته المشتعلة

ودوم طويلاً في المطبخ الذي

كان، هو، قد زين جدرانها

ببلاطات اقتلعها

من قبور

ما كان أحدٌ، بعدُ، ليزورها

لكنه، الآن، لا يستشفّ جنب المسبح

إلا أشكالاً هلامية

فيما جلساؤه يتحدثون عن خُودِ حسان

يدغدغ ظهورهنّ التّسيم

عن قطراتِ ماء خضراء

تلتمع على أرومة نهد

فكيف لميّت أن يبصر حتّى

وإن كانت ثمة عين

تُوشّي جيب قميصه المُطرّز

حتى وإن كان حديث عهد بالموت

وكانت العينُ نجلاء

حتى وإن كان في آخر جلساته

على سطح الأرض

حتى وإن، بين عينيّه، كان يعبّر تابوت

ينوء

بحمولته من الأجراس

كيف لميَّت ألا يتَّخذ بين جلسائه

هيئةً جبلٍ منفي في جزيرة

ستجيئه عصافير

من أغصانٍ في جرح

وبمعاولٍ كانت، لسنين،

ذاتَ سطوة في المستنقعات

تكسُر أحجاره وعظامه

في البرد أغفى الأصدقاء

ويدا الميَّت موضوعتان

على قوس قُزح

انداح، بأناةٍ، من كأسه

لكن، كيف لميَّت

ألا يضجّر بين الأحياء

والقرقة على أشدها في نوم جلسائه
والمساء قد ظهرت حدبته
وثمة أطفال أطلّوا من باب موارد
ثم فرّوا خائفين

كانوا قد استيقظوا ثم ناموا
ثم استيقظوا، وأخيراً قرروا أنّهم
استمتعوا برفقته

كما لن يتسنى لأحد أن يفعل
وأنه آن الأوان ليتخلّصوا منه
تحت جناح الظلام

أيدفونه، إذًا، في حديقة،

أيرمونه في البحر؟

لا، بل يُمدّدونه أمام باب

مستودع الأموات

فالبحت عنه، لا شك، جارٍ

هذا ما اقترح أكبرهم

الذي كان قد هياً له شاهدة قبر
ستركها تحت رأسه

إن مرّ أحدٌ بقبره، سيقراً على تلك الشاهدة:

- هنا ينام نومته الأبدية

البحارُ الذي قضى ليلته الثانية كميت

ساهرًا، يتملّى بأشكال سباحات مشيقات

من الطابق الرابع للملهاة

الذي كان، أيضاً، شاعراً

وكتبَ أبياته الأخيرة

في مدح إبرة بقيت، بإخلاص،

ترفو ثيابه إلى أن ابيضّت

عينها

الذي غطس في أعماق بحار

ظَهَرَ في أحلام سفن

شارك في تشييد مدنٍ

من مرجان واشتغل

بمهنٍ أخرى

الذي، في طفولته،
أنقذَ أراغَنَ
كانت، من فرط كآبِتها، قد ارتمت
في الآبار
الذي لم يحضُر قطَّ
إعدامَ شمعة، وجَابَ قُرَى بعيدة
على صهوة حصانٍ من
اللوبياء، ثم مات
غريقاً، بعد أن صارع الرّبو
زَمناً، وفي آخرِ
أيّامه، طال قذالُه، لعكوفه
زمناً على صنْع سروج
من ثلوج، وأصبحت له غُنَّةُ
من ينفثُ الكلمات
عبر أنفه الرّجّاجي، وشفتان تشتغلان
بالكهرباء

مختارات من مجموعة:

عُيُونٌ طَالَمَا سافرت

يا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

تُرْعِجُنِي قَصَّةُ شَعْرِكَ يَا نَجْمَةَ
إِنَّ لَهَا رَائِحَةَ نَعْجَةٍ مُبَلَّلَةٍ
لَا أَحْبَبُّكَ يَا قَمَرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ
فَأَنْتِ لَا تَتَفَوَّهُ إِلَّا
بِكَلِمَاتٍ نَابِيَةٍ
وَمِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنْ الَّذِينَ يَحْشِمُونَ بِشِدَّةٍ
هُمْ إِمَّا ضَمَّ
أَوْ يَغْطُونَ فِي نَوْمِهِمْ
أَمَّا أَنْتِ يَا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ
يَا ذَاتَ الْجَدْرَانِ الْمُصَابَةِ بِالْهَذْيَانِ الرَّعَاشِيِّ
يَا عَجُوزاً تُنَلِّجُ مِنْ أَحْمَصِ قَدَمَيْهَا
يَا غُرْفَتِي
فَجَوْفُكَ بَحْرٌ بَارِدٌ
مَاؤُهُ مِنْ دُخَانِ سَجَائِرِي وَنَظَرَاتِي
تَعْجِبُنِي

وأنا، متى استطعتُ أن أُغافل
بَرْدَكَ، سأهْجُرُكَ وأمضي
منزلقاً على ابتساماتِ حمائمِ صديقةٍ
حتى هونولولو
ففي هونولولوووولو
القَدَاحَاتُ الجَمِيلَاتُ
تُبَادِرُ للرَّقصِ للوافدِ الجديدِ
والمدافئِ الكهربائيّةِ تعيش صامدةً
وتموت واقفةً
وإذا شعرتَ بالخربةِ في هونولولوووولو
يمكنك، بحركةٍ من رأسك
أن تُحيي نفسك، فتشعرَ بدفءٍ
إنسانيٍّ عظيمٍ!
حقاً، قد يحدثُ في هونولولوووولو
أن أبيتَ ليلةً ما في فندقِ ناقصِ التدفئةِ
فُطِلَّ عليّ القُشْعْريرةُ بعينيها اللّماعَتَيْنِ
من النّافذةِ التي أكون قد نسيْتُ
إغلاقها جيّداً

لكن سَرَعَانِ مَا سَتَلْحَقَنَّ بِي
يا حليفاتي الحمائم
وبضرباتٍ من مناقيركنَّ ذواتِ
البأسِ والبسماتِ
تُكَبِّدن عصاباتِ البردِ اللعينِ
أفدَحِ الخسائرَ

بَحْرُ أَسْوَدَ

قَارِبُ النَّوْمِ يَمْخُرُ بِي عُبابَ بَحْرِ أَسْوَدَ يُبْعِدُنِي
عَنْ غُرْفَتِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّتْوِيَّةِ
الْمَوْجُ الْعَاتِي يَتَقَاذَفُهُ
سَيُوفُ الْبَرْقِ، أَيْضاً، تَهْوِي
فِي الْأَعَالِي، بِلَا رَحْمَةٍ
وَحَوْفِي يَتَرَكِّزُ فِي حَاجِبِي!
لَكِنْ، فَوْقَ رَأْسِي، أَنْصَافُ الطُّيُورِ
الَّتِي بَقِيَتْ حَيَّةً بِمُعْجَزَةٍ
تَضَعُ رُضْعاً فِي مُهُودِ
وَصَرَخَاتِهِمْ فِي صِنَادِيقِ الْبَرْدِ
وَتَعِدُنِي بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ
حَالِماً أَسْتَيْقِظُ
مِنْ هَذَا الْخُلْمِ الْعَنِيفِ!

نُزَل قِرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ

نُزَل قِرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ فِيمَا
عَلَى كُومَةِ الرَّمْلِ الْقَرِيبَةِ
نَحْلَةً عَطُوفٌ تُرْجِي لَنَا نَصَائِحَ بِالْأَزِيزِ
إِنْ نُطَبِّقُهَا تَتَقَوَّ عَضَلَاتُنَا بِالتَّأَكِيدِ
فَنَحْنُ نَرِيدُ أَنْ نَبْنِي مَأْوًى لِلْعَجُوزِ
الَّتِي مَرَّتْ بِنَا مَتَرْنَحَةً فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي
وَاخْتَفَتْ فِي حَقْلِ الْعَدَسِ
مَرَّتْ بِنَا آهٍ مَرْزُرٌ...رَثَ
مَرَّتْ بِنَا مَرْزُرٌ...رَثَ
هَكَذَا غَنَيْنَا لَكَ يَا مَنْ تَرْنَحْتَ فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي
وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَاضِي، يَا مُقَوَّسَ الظَّهْرِ، يَا أَدْرَدُ
لَقَدْ أَتْرَعْنَا جَيُوبُكَ
صُوراً وَأَسْنَانَ حَلِيبِ
وَأَنْتِ يَا مُدَرِّسَةً كَانَ رَأْسُهَا
يُؤَلِّمُهَا فِي الْأَصْبَاحِ خَاصَّةً وَاسْمُهَا

كان يبدأ بالجيم
تَرَكْنَا لَكَ مَا تيسَّر من هَاهُآت
وَنَمَشًا كثيرًا
كلُّ نمشة لها مفعولُ حبة أسبرين
كرامٌ نحن وأطفال وسعداء
ولم نعد مغروسين بين نباتات الخريقة
كما كُنَّا عليه في واحدٍ من أوائل
أحلامي

نمدحك يا مُترنحة وكم وِدَدْنَا
لو دغدغنا إبطك الأيمن
فقد عَرَفْنَا أَنَّكَ جَدَّدْنَا بعد أن سمعناك ذات ليلة
تُعلِّمين رُضْعًا كيف يصطادون شُهْبًا بالشِّبَاك
وقيل إِنَّكَ ذات سهرة كنت تُرَبِّتين
على حذبة الراقصة
فيما كُنَّا نَنفُخُ في الهَرْمُونِيكات
نَنفُخُ وَنَنفُخُ
نَنفُخُ فيها لتبقى مُعَزَّزَةً ولا تَضْدَأُ
فَيُلْقَى بها في غياهب السجون

ننْفَخُ وَنُغَيِّي: مَرَّتْ بِنَا آهَ مَرْزُز...رَتْ
مَرَّتْ بِنَا مَرْزُز...رَتْ
وَهَكَذَا إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ مِنَ الْبِنَاءِ وَوَقْتُهَا
سُنُقِيمُ حَفْلًا
يَحْضُرُهُ الْبَاعَةُ الْمُتَجَوِّلُونَ وَالْمَسَاكِينُ
وَرَاقِصَةُ حَدْبَاءَ
وَابْنُ السَّبِيلِ وَالْمُدْرَسَةُ بِضْدَاعِهَا
النَّصْفِي
وَكَذَلِكَ الْوَجُودُ وَالْعَدَمُ
وَالْتَلْمِيزَاتُ اللَّطِيفَاتُ اللَّوَاتِي فَتَحْنَ قُلُوبَهُنَّ
لِلسَّيَّارَاتِ الصَّغِيرَةِ الْحَزِينَةِ
الَّتِي وُلِدَتْ
بِلا عَجَلَاتِ

أنا الآن

أنا الآن في قرية جدّي
أقعد كرسياً صغيراً تحت حائط الجامع القديم الذي
يتدلّى حواليه صبار كثير
وثمة كلاب تقضي قيلولتها في ظلّ كومة تبين
فيما تتحدث جماعة المقامرين تحت شجرة
خلف الجامع
بأصوات خافتة ومتوتّرة
عن عبد السلام بائع الكيف
وكيف اعتقله الدّرك في الصّباح
وكيف كانت الومضات تنثال من شيب رأسه
قويّةً
وتتناثر في الجوّ متأجّجةً
أترى كان ذلك من خوفٍ شديد
أم من حقدٍ عنيف
أمّا أنا فكنْتُ أيضاً قدّ قامرتُ ذات صباح

بحصانٍ صغير
وساعتها كانت أنغامٌ جازٍ تتنامى
في أذني اليمنى
وفي اليسرى كان يُسمَعُ حدّادون
وهم ينهالون بمطارقهم على
حدّواتٍ وخسرتُ حصاني
الصّغير

وها أنا تحت حائط هذا الجامع القديم
أتابع قراءة رواية
روايةٍ رهيبةٍ عجيبٍ أمرها
ياها!

ما أكثر قتلها

المُعَلِّمة تُزَيِّنُ بدلتها

المُعَلِّمة تُزَيِّنُ بدلتها بِظائر
في حجرة الدّرس تقول إنّ المعادلات
اختفت فجأةً من رأسها حين كانت تسبح
في البحر
تلميذةٌ قالت: ربّما أكلتها الأسماك
فقلنا جميعاً: ربّما، ربّما
بِمُشْطٍ طويلٍ حَمَلَتْهُ إليها الرِّيحُ
تَفَرِّقُ المُعَلِّمةُ شَعْرَها من الوسط
لكنّ من يصفق منا أكثر ممّا يجب
سيُحَكَّمُ عليه بالطّواف سبع مرّات
حول المجنون النّائم
قُرْبَ محطة البنزين

غريبٌ أمرٌ هذا الحقل...

غريبٌ أمرٌ هذا الحقل
إنّه متجهّمٌ على الدّوام
وهذا النّاي
الذي ليس سوى بلعومٍ مديد
وهذي البئر التي حفرناها
أيامَ المُرَاهقة
وها قد ولدتُ قُمصانا ووزّعناها
على حاملي الدّلاء الهائمين
غريبٌ أمرٌ هذي المداخن
المهجورة على السّطوح
حين ننظر إليها بعيوننا التي طالما
سافرت
رفقة لقالق
الطّفولة

حانة

حانة تُطلّ على بركة صغيرة، قُربها
شجرة تُحسن حماية الطفل
الذي يصل راكضاً من جهة البحر
يطارده خُفاً أبيه الغاضب
حانة، يحدثُ أن أُطلّ من نافذتها على الليل
وهو يمضي نحو الشاطئ
مُردّداً أغنية بحار
حانة، يحدثُ أن أُطلّ من نافذتها والظلام يهبط
فأرى العصفور الذي كان يلعب
الذي كان يجذبُ تلةً من ذيلها
يُسدلُ ستائر الحقل
ويأمر الأعشاب بالنوم
إنّها حانة القرصان، البعيدة
عن صخب المدينة
حيث، هانئاً
يشيخُ النبيذ
في مسامّي!

خرفان الليل

جوّ سبتمبر الجميل يتشربُ الضوضاء القادمة من وسط المدينة. من نافذة بيتي، تبدو لي سفينةٌ تُبحر. إنّ لها شكّل قوقعة كبيرة. والهضبة القريبة، كأنّها أضحت شفاقة، فهي لا تحجبُ عني البحر. لقد اقتعدَ سطحها العالي الشخص طويلاً الشعر نفسه، وهاهو يقوم، كالمعتاد، بحركات توحى بأنّه يقطف غيماتٍ ثمّ يعصرها وبعدها يطلقها لتعود إلى الفضاء مثلما حمائم. حين التقيته ذات ليلة، قبل سنة، فوق صخرة تشرف على البحر، قال لي إنّهُ يُسمّي نفسه سيزيف الجديد. كانت الأمواج لحظتها خرفاناً مُلتهبة المزاج، ما تنفكّ تهرب، ثمّ تعود، ثمّ تهرب من جديد. وكان كلّ منّا قد جاء إلى ذلك المكان، بقنينة نبيذه وكأسه، ليَشربَ ويُشهدَ البحرَ على انْتِشائه... وتحادثنا، فاكشفنا أنّنا، في بدايات الشباب، درسنا في نفس الثانويّة، خلال نفس السّنوات، وفي وقت ما، أحببنا نفس الفتاة.

كُلُّ تلك المصادفات، والخرفان المائيّة لا تني تركّض وتركّض... تُغاوها يتشربُه جوّ سبتمبر الجميل.

كُنْتُ لِلتَّوَّ قَدْ وَصَلْتُ

كُنْتُ لِلتَّوَّ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ
الَّتِي لَمْ أَزُرْهَا مِنْذُ صَيْفٍ قَدِيمٍ
وَكَانَ جَرَّاحُونَ عَلَى شَاطِئِهَا
يُخْرِجُونَ مِنْ جُمُجْمَةٍ غَرِيقٍ جِيءَ بِهِ مِنْ عُفْقِ الْيَمِّ
طَحَالِبَ وَقَوَاقِعَ
وَبِمُجَرَّدِ مَا يُعِيدُونَهَا إِلَى الْبَحْرِ
يَقْفُ ذَلِكَ الْغَرِيقُ وَيُكْمِلُ إِغْلَاقَ جُمُجْمَتِهِ
بِيَدَيْهِ
وَيُخَيِّي الْحُضُورَ بِإِشَارَةٍ
بَعْدَهَا يَأْتِي مُمَرِّضُونَ بِغَرِيقٍ جَدِيدٍ وَيُمَدِّدُونَهُ
عَلَى سَرِيرِ الْجِرَاحَةِ
فِيمَا يَكُونُ سَابِقُهُ قَدْ رَكِبَ
دَرَّاجَتَهُ النَّارِيَّةَ وَمَضَى نَحْوَ بَيْتِهِ
حَيًّا وَلَكِنْ بِلَا لَحْمٍ يَكْسُو عِظَامَهُ،
بِلَا لَحْمٍ وَلَكِنْ بِرُوحٍ مَرِحَةٍ...
أَصْدِقَاؤُهُ سِيحْتَفِلُونَ بِعُودَتِهِ هَذَا الْمَسَاءَ

وسيلاحظون أنّ له في الرّقص

هزّة كتفٍ

لا تُضاهي

وَأَنْتِ بِلِبَاسِ الْبَحْرِ

ذات صباح، وأنا بعدُ طالبٌ وفي الثامنة عشرة
كنتُ في مقهى على الشاطئ
وكان ثمة سباحون يدخلون إلى المياه متقافزين
شاعرين، ولا شك، بالترعة
وكنتُ أقرأ أخباراً في صحيفة
لكن سرعان ما استأثرت بانتباهي تنورة قادمة
فارغة من صاحبها
مُرتفعة عن الأرض وأطرافها تهتز إذ
يعبثُ بها النسيم
وبدأت لي حركاتها
أثناء قدومها متماوجة
من خلف تلة صغيرة على الشاطئ
أليفة لعيني
على الفور نهضتُ
ومضيتُ باتجاه التلة:
خلفها، كانت الابتسامة العريضة
على وجهك وأنت بلباس

البحر، سلوى
لم نكن، قبل تلك اللحظة، قد تبادلنا
غير نظراتٍ في ردهة الكلية
وأخرياتٍ بباب صيدلية
وقلت: تنوّرتي
أرسلتها لتأتي بك أيّها الخجول
وها هي الآن عائدةٌ نحوي

بسبب أوراق ميّنة

كان ثمة خفُّ أجنحة
يتناهى إليّ من حديقة تتمدّد فيها فتاة
على مصطبة
الفتاة كانت رفيقةً لي في قسم ما
بالبتدائي
وفي تلك الأيام البعيدة، كانت قد أُصِيبَتْ
بالنّحول بسبب أوراق ميّنة
سقطت من شجرة
على ركبتيها
ثمّ التقيتُها بعد ذلك بزمن
في محطة قطار
وكانت تدخن كثيرا
قالت يومها إنّها في طور التّحوّل
إلى سيجارة ضخمة
سيجارة ذات فم وعينين

ذات أذنين ونهدين
وهي الآن على المصطبة
تبدو مديدة وملفوفةً بالبياض كأنّها فعلاً
سجارة ضخمة
فيما يتصاعد من ذاكرتها
دخان أبيض ورماديّ
ومع هذا، فلا داعي لأن نقلق
إنّها لا تزال من لحم ودم
على شفيتها ابتسامة
وتنظر إلى عصفور فوق سلك كهربائيّ
بعيد

أسلاف

في هذا البيت، في زمن قديم، تطايرَ شرارٌ كثير
من جَسَدٍ جدّ، بعد أن رَطَمَ رأسه
بسُقف قُبْعته

سكّانُ هذا البيت، من أجدادٍ أكثرِ قِدَمًا
كانُوا شديدي التَّدِينِ
واتَّخذوا إلهًا البُرْكانَ المقدَّسَ الذي
أصبح في مكانه الآن
قُرْنٌ كبير

أنا، خلال هذه الليلة، في هذا البيتِ نفسه
أستمرُّ في كتابةِ تاريخِ السُّلالة
فَيَذِلُّ إلى غرفتي ناطقونَ بأسمِها من كلِّ
العُصور

يتجمَّعون في جانب من الغرفة، فتميلُ تحتِ ثِقَلِهِمْ
يركضون إلى الجانب الآخر، فيشعرون
أنَّه يَمِيدُ بهم

وهكذا، أنا أُورِّخُ لهم
وَهُمْ يُمرِّجُونَنِي

كوميديا سوداء

هل تعتقدُ حقاً يا صديقي ميرو
أنك سبق أن كُنتَ
بطلةً بَرّية في حياةٍ سَابِقة؟
هل فعلاً تُنقّبُ في ذاكرتك بَلٍ حتّى
في مسامك لِتَجِدَ جواباً
عن تساؤلِكَ هذا؟
نُعم بالله عليك
مِنْ أين جاءتك هذه الفكرةُ أضلاً؟
مِنْ كونك، حسبما تقول، أصبحت تَرى
بِرْكَاً كثيرة في أحلامك
وتسمعُ صوتَ البطّ فينتابُك حينئذٍ غريب
وتُثيرُ انتباهك أيُّ ريشةٍ طائفة
مهما كانت واهية؟
لكنك، بهذه الطريقة، تُثيرُ القلق
في نفسي يا صديقي

وتجعلني دائم الشُّرود
وتَمْنَعُ النَّوْمَ عن جفوني
لأنِّي أصبحتُ، عند كلِّ غَفْوَةٍ،
أرى بنادقَ في الحُلُم
ودخاناً يتصاعدُ أمامي
وكَلِّما بدا لي موقدٌ
إِلَّا واستثارَ اهتمامي
وكَلِّما لمحتُ جَمْرَةً
أو كومةَ أخشابٍ تَشْتَعِلُ
تسمَّرتُ عليها عيناوي...
فهلْ يا تُرى كنتُ في حياةِ آنفةٍ
قَنَاصاً
وحدثَ أنْ قنصْتُكَ وأنتَ بَطْلَةٌ
وَحَدَثَ أنْ طَهَوْتُ منك؟..
آه! إِنَّكَ تَجْعَلُنِي أتعذبُ
آه! إِنِّي سأُبْكِي...

يَغْذُّ السَّيرَ فِي الْمَرَاةِ

يا لَتَوَتَّرَ حَامِلِ الْمِظْلَّةِ الشَّاحِبِ الْقَادِمِ بِسُرْعَةٍ.
إِنَّهُ يَحُتُّ الْخَطِي فِي اتِّجَاهِ رَجُلٍ طَوِيلٍ وَمُحْتَقِنِ الْوَجْنَتَيْنِ،
وَاقِفٍ أَمَامَ مَرَاةٍ، شَبَّهَ نَائِمٍ، وَيُدْخَنُ.
حَامِلُ الْمِظْلَّةِ يَزِيدُ مِنْ سُرْعَتِهِ وَيَتَذَكَّرُ الْمَرَاةَ
الَّتِي كَانَتْ عَشِيقَةً مُحْتَقِنِ الْوَجْنَتَيْنِ:
إِنَّهَا مَا شَأَ الْجَمِيلَةَ الَّتِي غَرَقَتْ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ
وَهِيَ الْآنَ قَابِعَةٌ وَلَا شَكَّ فِي قَعْرِ نَهْرِ الْفُولْغَا.
وَيَدْنِدُنِ الرَّجُلَ الطَّوِيلَ الْمُحْتَقِنَ الْوَجْنَتَيْنِ
بِقَصِيدَةٍ كَانَ قَدْ كَتَبَهَا عَنْ مَوْتِ عَشِيقَتِهِ الرَّوسِيَّةِ.
إِنَّهُ وَاقِفٌ أَمَامَ مَرَاةِ الْحَمَّامِ، فِي بَيْتِهِ بِكَازِبْلَانْكََا
يُدْخَنُ وَيَحْلِقُ ذَقْنَهُ، وَيَرْنُو
إِلَى حَامِلِ الْمِظْلَّةِ الَّذِي يَغْذُّ السَّيرَ نَحْوَهُ فِي الْمَرَاةِ
وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا هُوَ نَفْسُهُ، قَادِمًا
نَحْوَ نَفْسِهِ
مِنْ شَتَاءٍ رُوسِيٍّ قَدِيمٍ!

خُلفاء

لَقَدْ أُعْلِنَتْ عَلَيْنَا حَرْبٌ شَعَوَاءَ
وَلَسْنَا الظَّرْفَ القَوِيَّ فِيهَا!
وَفِي شَوَارِعِ مَدِينَتِنَا رُئِيتْ تَلْمِيزَاتٌ صَغِيرَاتُ
يَتَظَاهَرْنَ بِالْمَرْحِ وَصَرَخَاتُهُنَّ
تَحْتَ رَمُوشِهِنَّ
وَالْمَغْنَى الَّذِي كَانَ قَدْ عَوَّدَنَا
عَلَى مَرَّحِهِ وَكَئُودِنَاتِهِ
انْكَمَشَ فِي زَاوِيَةِ بَرْقَاقٍ مَهْجُورٍ
حَيْثُ بَدَأَ يَتَتَبَّعُ هَلُوسَاتِ عِظَامِهِ
كَمَا لَوْ كَانَتْ مَشَاهِدُ
فِي شَرِيطِ سِينِمَائِيَّ!..
لَكِنْ جَمِيلٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ لِنَجْدَتِنَا
هَذَا الْفِيلِقُ مِنَ الْعَمِيَانِ
الَّذِينَ يَدْخَنُونَ وَيَنْفُثُونَ الدَّخَانَ
مِنْ عَيُونِهِمْ
وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ الَّتِي يُقَالُ إِنَّهَا

سليلاً جبلٍ جليدٍ مهيب
جميل أن تكون قد وصلت كل هذي الأجراس
وهذي السمكة التي هي كبرى
وزيرات البحر
هذه العجوز التي تظهر عادةً في نهاية كل خريف
لتكنس
الغابات
وهؤلاء الأطفال الشجعان
الذين أنقذوا عصافير في بيد...
فلكم نحن محظوظون
بحلفاء
من هذا القبيل!

في هذه اللحظة بالضبط

في هذه اللحظة بالضبط، حسبْتُ أني متّ
لكنّ روحي، التي، منذ دقائق،
غادرت، حقّاً، جسدي
لَمْ تلتحقِ بالسّماء، بل إنّها صعدتْ
إلى قِمّة نخلة
أراها من نافذتي!
انزلي، أيتها الرّوح الغلقة،
انزلي فوراً
وَعُودي إلى حيثُ كنتِ
هكذا تحدّثتُ إليها، ثمّ أضفتُ:
هيا انزلي،
كفاكِ عبثاً!

له ذاكرةٌ حيّة

كان يَمُضي عبر شارع العظام
تحت مطرٍ من ابتسامات الأشباح
يُخفي جيّداً صرخته السّريّة
لا يحبّ الحياة كثيراً
لكنّه لا يكرهها
لقد وُلد ذات يوم اشتدّ فيه الحرُّ
على المجانين
وهو يعيش الآن قرب بركةٍ
يسمعها، أحياناً، تحكي القصص
لجراداتٍ من حَوْلها
له ذاكرةٌ حيّة: رأى مرّة سيجارةً في
فم عابر بقربه
فتذكّر أنّها السّيجارة نفسها التي
سبق أن رآها في حلم
يتذكّر أيضاً أنّ جدّته، قبل وفاتها

أوصته خيراً بعلبة النّشوق
التي تعاني من الخرف
وبالرياح الفقيرة
والدجاجات الثلاث
النّاسكات

أتهياً للإبحار

مشيتُ تحتَ صغير غيمة
كانتُ تتلهّى
ببتبع شريط ذكرياتي
والقروية التي كانت عشيتي
ذات يوم في بيدرٍ ما
ظهرت بدورها خلف نافذة بعيدة
باسمةً ومحاطةً بالعصافير
باسمةً وتنقُرُ
على طبلة أذن الريح الرّصينة
يا عشيتي يا عشيتي
كوني لي خيمة
على جبل الكهرباء
بهذا رفعتُ عقيرتي وأنا، في غرفةٍ
نومي، أتهياً للإبحار
في كأسٍ غريبة

وأصبتُ سيّد السّاهرين

كنتُ صيَّادَ سَمَكٍ
وكنتُ غنيّاً أو فلنقل
إنّه لم يكن ينقصني شيء
ثمّ ساءت أحوالي، بعد أن عشقتُ
حياةَ الليل
بغوانيتها بنبيلتها بخروبها
وأصبتُ
سيّد السّاهرين
وحسبوني جُننتُ حينَ بدأتُ أرى في منتصفاتِ
الليالي
ومعي شباكي التي صرّت ألقيا
إلى أعلى، لعلّي أصادُ
ابتساماتِ نُجومٍ
أو همهماتِ غيومِ الليل
أو حتّى حصاناً مُجتحاً لطيفاً
يَحْمِلني على ظهره

وَيَمْضِي بِي فِي رِحَالٍ عَجِيبَةٍ
أَقْصُ وَقَائِعَهَا، فِي يَوْمٍ مَا، عَلَى أَحْفَادِي
الْقَادِمِينَ!

قصائد

مِمَّا لَمْ يُنْشَرْ بَعْدُ فِي مَجْمُوعَةٍ

قَبْلَ الإفطار

شفرةُ الحلاقة تحلم قرب لحيّتي
بقطراتٍ من دمي
نملةٌ تسقط من مكان مجهول
على سطح رغبة معجون الحلاقة
هي في ورطة عظيمة لكنّها تحلم
أنّ لها ساعدين قويّين وأنّها
تجذّف وهي على متن قارب
وإذ أشعر أنّها تودّ لو تنوح
أسارع إلى إنقاذها
لكنّي حين أزمع البدء في الحلاقة
أسمع زمجرات غضب:
إنّهن البيضات الثلاث، منفعلات،
فقد تركتهنّ، دون أن أنتبه
في زاوية معرّضة
لتيار الهواء.

يُسَمِّدُ الْحَقْلَ...

آثَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْ
يُسَمِّدَ حَقْلَهُ بِالْكَلَامِ
وَلَا نَّ لَهُ لِسَاناً أَصْبَحَ لَا يَكْفُ عَنْ الثَّرَاةِ
مَنْذَرُ أَنْ فَتْنَتْهُ امْرَأَةٌ فِي السُّوقِ الْأَسْبُوعِيِّ
فَالْحَقْلُ سَيُخْصِبُ وَلَا شَكَّ
وَالْغَلَّةُ سَتَكُونُ عَظِيمَةً
حَقًّا، هُوَ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى
مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ سِوَى صَفِيٍّ أَسْنَانِهَا
وَبَيْنَهُمَا
قِطْعَةٌ بِطِيخٍ مَدِيدَةٍ
لَكِنْ سَوْفَ يُفْعِمُ الْفَرْحَ قَلْبَهُ بَعْدَ الْحَصَادِ
وَسَيَكُونُ هُنَاكَ عَتَّالُونَ كَثُرُوا
وَصَفَقُوا أَبْوَابَ
وَسَوْفَ تَرْتَفِعُ عَقَائِرُ بِالْغَنَاءِ
وَتَتَنَحَنَجُ قَنَادِيلُ

وتتساقط ثلوج

على رؤوس نسوة حزينات

كنّ قد أغدقن حبّهن الأموميّ

على قطع سكرّ

كانت لها حياة

لكنّها لم تحترش

وذابت في كؤوس

في عربة

أُسافر في عربةٍ عجلائُها بيضاء
تسلك بنا طريقَ الشَّاطئِ، وجارتي إذ تغفو
تبدأ التَّجاعيد في التَّكاثر على وجهها.
حجمُها في تناقص.
أهي حالة شيخوخة مباغته؟
تتصاعد موسيقى قرب النَّافذة التي
أطلَّ منها على البحر.
ثرلَّا ثرلَّا ثرلَّا ثرلَّا ثرلَّا ثرلَّا
موسيقى فلا منكوا: آه! كم كنتُ معجباً بِلأُو تيخيدا
لكني نسيئُها زمناً ولم أتذكَّرها
إلا في هذه اللحظة.
جارتي اسمُها علياء وهي طبيبة أطفال.
ذلك أننا تعارفنا قليلاً
قبل أن تنام.
قالت إنها تحبُّ الأغاني الخفيفة

وَأَنْ تَرْشَ ظِلَّهَا فِي الصَّيْفِ

بِمَاءٍ بَارِدٍ

وَأَنْ تُطَلَّ عَلَى الْمَطَرِ

مِنْ نَافِذَةٍ فِي قِطَارٍ.

المختارات

- قصائد مختارة من "على دَرَج المياه العميقة" 4
- قصائد مختارة من "محفوفاً بأرخبيلات..." 17
- قصائد مختارة من "راية الهواء" 31
- قصائد مختارة من "فراشة من هيدروجين" 45
- قصائد مختارة من "رجل يبتسم للعصافير" 61
- قصائد مختارة من "عيون طالما سافرتُ" 90
- قصائد مِمَّا لم يُنشر بعد في مجموعة 122

عن مبارك وساط

- شاعر مغربي، وُلِدَ في 16 - 10 - 1955. درّس الفلسفة حتّى نهاية 2005.

صدر له، في مجال الشّعْر:

- على دَرَج المياه العميقة (طبعة أولى: دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990-
طبعة ثانية: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثالثة، رقميّة: منشورات
حبر، 2020).

- مَحْفُوفًا بأرخبيلات... (طبعة أولى: منشورات عكاظ، 2001- طبعة ثانية،
رقميّة: منشورات حبر، 2020).

- راية الهواء (طبعة أولى: منشورات عكاظ، 2001- طبعة ثانية، رقميّة:
منشورات حبر، 2020).

- فراشة من هيدروجين (دار النهضة العربيّة، بيروت، 2008- طبعة ثانية،
رقميّة: منشورات حبر، 2020).

- رجلٌ يتسم للعصافير (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2011- طبعة ثانية،
رقميّة: منشورات حبر، 2020).

- عيونٌ طالما سافرت (منشورات بيت الشّعْر في المغرب، 2017).

-أخف الأجراس في الأعشاش (مختارات من قصائدي) - (طبعة رقميّة منشورات جبر، 2021).

في 2010، كانت قد صدرت له مجموعة شعرية فرنسية-عربية، عن منشورات المنار بباريس، تحت عنوان:

Un éclair dans une forêt

وفي 2018، حصل على جائزة سركون بولص للشعر وترجمة الشعر في دورتها الأولى.

وفي مجال الترجمة، صدر له:

شذرات من سفر تكوين منسيّ، لعبد اللطيف اللعبي (منشورات الموجة، الرباط، 2004)

نادجا لأندري بريتون (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2012)

التحول لفرانتس كافكا (2014)

الأبدية تبحث عن ساعة يد، لأندري بريتون (منشورات الجمل، 2018).

ستولد شمس من أهدابك، مختارات من شعر جمال الدين بن شيخ (منشورات جبر، 2020)- كتاب رقمي.

دَمِي الذي يرشو اليأس، مختارات من شعر محمد خير الدين ونثره (منشورات
جبر، 2020) - كتاب رقمي.

لتحميل أيّ من مجموعات مبارك وساط الشعريّة، انقر(ي) على
الرابط التالي :

[- تحميل مجموعات م. وساط -](#)

أو على رابط الملف التالي:

[- ملفّ إصدارات "جبر" -](#)

تمّ إنجاز هذا الكتاب الرّقمي في سلا الجديدة بالمغرب

﴿جميع الحقوق محفوظة﴾

أستقبل راقصات

شغبيرات

مثل

البحر كندة

كعبدة

جديدة

— 2021 —

مبارك وسلك

